

المجلد: 06 / العدد: 02 / ديسمبر (2022)، ص. 465/458

حاجية الفعل الكلامي في ديوان "الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله"

Speech actes argumentativity in the Green time's register by Abu al QasimSaadallah

شوخ فتيحة

chouikhfatiha677@gmail.com

جامعة وهران

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2022/12/02

تاريخ القبول: 2022/05/08

تاريخ الاستلام: 2022/01/06

ملخص:

فتح الخطاب الشعري أمام المتلقي أفقا رحبة؛ بغية سبر أغواره واستجلاء مضامينه وفق مقاربات تبرز سلطان اللغة وحجتها في غير لبوسها العادي أي "التواصل؛ وبالاستناد على معطيات الدرس التداولي والخطوة المائزة للفعل الكلامي بوصفه نواة الدراسة. تسعى الورقة البحثية الكشف عن البعد الإنجازي للأفعال الكلامية المبثوثة في جسد القصيدة، وقوفا على مدى إسهامها في تحقيق سبك الخطاب في ديوان "الزمن الأخضر".

كلمات مفتاحية: الأفعال الكلامية، الخطاب الشعري، الإقناع، الحجاج، الزمن الأخضر.

Abstract:

Poetic discourse has opened many prospects for the recipient in order to explore its depth and clarify its contents in accordance with approaches that highlight the language authority and its arguments in a way other than its normal equivocation, i.e. communication, based on the data of the deliberative lesson, and the special place of verbal action by making it the core of the research. The purpose of the research paper is revealing the achievement's dimension of verbal speeches in the body of the poem in the green time.

Keywords: verbal actions; poetic discourse; persuasion; argument; Green time.

مقدمة:

تعتبر نظرية الحجاج التداولي امتدادا وتطورا لنظرية "الأفعال الكلامية" حسب رأي أوستين وسيرل، إذ ترتبط الوظيفة الحجاجية أشد الارتباط بالوظيفتين التأثيرية والإقناعية التي تدفع المتلقي إلى فعل شيء معين، أو تعديل سلوكه على الأقل، ولا يتأتى هذا الدور إلا في شكل فعل كلامي باعتباره ركيزة من المراكز التداولية الحديثة، وفخواه أن "كل ملفوظ ينض على نظام شكلي دلالي لإنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية... وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا في المخاطب ومن ثم لإنجاز شيء ما" (1)، ولتحقيق هذه الغاية يتوخى الشاعر أفعالا إنجازية متنوعة مستغفرا جل طاقاتها الإقناعية؛ بغية التأثير في المتلقي ودفعه إلى الإنجاز وهو بيت القصيد في الخطاب الحجاجي. وبالنظر إلى هذه الغاية وُسم الحجاج بأنه "فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتهدف إلى اشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موحها بقدر الحاجة" (2)، فالحجاج من الجانب التداولي يظهر في استعمال اللغة وأنساقها؛ بحيث تتحكم فيه ضوابطه خارجية متعلقة بالمقام والسياق، ومقاصد المتكلم ناهيك عن قدرته في توجيه المتلقي الوجهة التي يرتضيها الخطاب.

وفي ظل مشروعية البحث عن حجاجة الأفعال الكلامية في المنجز الشعري بوسمه أهم الخطابات التعبيرية الثرية. سنحاول الكشف عن إستراتيجية الشاعر في بناء قصائده بناءً حجاجياً، وذلك باتخاذ ديوان "الزمن الأخضر" لأبي القاسم سعد الله" أنموذجاً إجرائياً؛ بوصفه حافلاً بالمقاصد الضمنية الساعى من ورائها التأثير في المتلقي، ومن هنا تبلورت إشكالية البحث عن دور الأفعال الكلامية في الخطاب الشعري؟ وهل كل فعل كلامي هو بالضرورة إنجاري؟

انطلاقاً من أنّ الحجاج يبحث عن الآليات التي تحقق نجاعة الخطاب وفاعليته، ينبغي أولاً أن نشير بإيجاز إلى الحجاج وعلاقة بالأفعال الكلامية.

1- الحجاج :

تجمع المعام العربية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب "الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة وجه الظفر عند الخصومة، ورجل محجاج أي جدل، والتجاج: التخاصم، وجمع حجة: حجج [...] والحجة: الدليل والبرهان" (3)، يتضح لنا أنّ التجاج والمحاجة يأتيان بمعنى التخاصم والنزاع القائم على الجدل. أما في الاصطلاح فقد وُسم الحجاج بأنّه "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع" (4)، إذ تتحقق الغاية المنشودة من الخطاب الحجاجي بين أقطاب العملية التواصلية في دينامية مستمرة ركيزتها اللغة والحوار لا الإكراه والعنف.

ومن هنا يتخذ الحجاج مساراً مغايراً هادفاً لاستئالة المتلقي وإقناعه بما يرنو إليه الخطاب برمته، فدراسة مفهوم القوة الإنجازية في تحليل الخطاب عامة والشعر خاصة إنما هي محاولة جادة لرصد فعالية الفعل الكلامي وفاعليته "ليغدو فهم نص ما هو إمكان الإجابة على سؤال تداولي لماذا وأيّ هدف أو غاية حجاجية تم إنتاج النص" (5)، فارتباط الفعل الكلامي الإنجاري بالحجاج ارتباط الناشئ بعلة نشوئه، وذلك بالنظر للغاية وخدمة للهدف المنشود من الخطاب الشعري؛ ألا وهو دفع المتلقي للتفاعل مع الخطاب، ومن ثم استدراجه نحو الاقتناع الفكري ولم لا الفعلي الإنجاري؟

2- الفعل الكلامي عند سيرل:

سعى سيرل سعياً حثيثاً لتطوير نظرية أستاذه ضمن نظرية محكمة، فشرع في تصنيف الأفعال الكلامية مستهلاً بـ:

أ - الإخباريات:

وهي أولى تصنيفات سيرل، وقد ترجمت أيضاً إلى التمثيليات، التأكيديات و"الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مما كانت درجة القوة" (6) ونجد هذا النوع من الأفعال الكلامية مبنوثة بكثرة في جسد الديوان؛ باعتباره أنموذجاً ثورياً وتلبية فورية لأحداث تاريخية على غرار ما جاء في قصيدة "القرية التي احترقت" إذ يقول أبو القاسم سعد الله: (7)

قَرَيْتِي قَدْ حَرَقُوا

بَحَرُوا عَوْدَ طَيْبِ

يَقْعَمُ الْأَرْضَ حَيَاةَ

بَحَرُوا ... حَرَقُوا

جَيْنَ ضَجُّوا مِنْ بَنِيكَ

هَكَذَا يَنْتَصِرُونَ

وَيَعُودُونَ نَشَاوَى يَشْتَقُونَ الْأَبْرِيَاءَ

وَيَضْبُونَ الْخَرَابَ كَالْجَزَادِ

وَيَعُودُونَ سَكَارَى بِشَيْدِ الظَّافِرِينَ

القضية المحورية التي عبر عنها الشاعر في خطابه هي الإعلان عن المشهد المأساوي؛ الذي آلت إليه القرية بعدما أضرم المستعمر الفرنسي النار فيها، فصرح في مستهل القصيدة بالفعل الكلامي النواة "قريتي قد حرقوك،" ثم استرسل في تفصيل ما حل بها عبر واجهة من الأفعال الكلامية التقريرية، ليرسخ فكرة الخراب في ذهن المتلقي على غرار (حرقوك، بحروك، ضجوا من بنيك، يعودون نشاوى، يشنون الأبرياء ويضبون الخراب (لتعيدنا إلى الفعل الكلامي

المنجز في مقدمة الخطاب الشعري "قريتي قد حرقوك" ونلني في هذه الأفعال قوة إنجازية كامنة فيها تصويرا وتجسيذا لبشاعة الجرائم؛ التي اقتصرت في حق الجزائريين وممتلكاتهم، ولشد عضد القيمة الإنجازية للأفعال التأكيدية، استعان الشاعر بأداة التحقيق "قد" مما يجعلها تتمتع بقوة حجاجية تندثر بثوب تأثيري إقناعي تدفع المتلقي نحو الإذعان. ولا جرم أن أبا القاسم سعد الله حمل رؤى شاعرية في قصائده الثورية؛ لتتطوي الأفعال الكلامية المتوخاة من لدنه على شحنات عاطفية متدفقة من قيم جالية سامية كمثّل قوله: "وَيَصْبُونَ الْحَرَابَ كَالْجَرَادِ" فجسد عبثية المستعمر بممتلكات الشعب بالجراد؛ ليزداد المعنى وضوحا وتبيناً، ومنه تبرز بجلاء الخاصية الحجاجية للأفعال الكلامية من خلال معاضدتها للصورة البلاغية؛ أي التشبيه الذي أكسب الخطاب الشعري حجية بتعميق انفعالات المتلقي اتجاه الصورة المجسدة.

ونحو تأجيج الفعل الثوري يقول أيضا: (8)

وَكَاْنَ اِخْتِمَارًا وَكَانَ ضَبَابًا
وَكَاثَتْ زَلَايِلَ رَغَمِ الْمَطَرِ
وَكَاثَتْ قَتَائِلُنَا قَاصِفَاتٍ
وَكَاْنَ الرِّضَاصُ يُجِيبُ الْقَدَرِ
وَنَامَتْ فَرَنْسَا عَلَى قُوَّةِ
وَبَاتَتْ جَزَائِرُنَا الْقَاصِلَةَ
وَعَمَّ الشِّتَاءُ يَجْلِبِلَهَا
وَكَاثَتْ كَيْتَائِنُنَا الْقَاتِحَةَ
تَرْدُ الْجَوَابِ عَلَى الْأَغْيَاءِ
فَيَغْشَاهُمُ الْوَقْرُ مِنْ وَقْعِهِ
وَيُرْدِيهِمُ الْمَوْتَ عِبرَ الْمَوْتِ

إنّ الخطاب الشعري عند أبي القاسم سعد الله تأثيري في مسكواته؛ إذ يجنح لاستمالة المتلقي عبر الآلية التقريرية والتأكيدية للأفعال الكلامية التي تلونت لجّلها بلغة الرصاص المولودة من رحم المقاومة، فاستحالت الأفعال المبنوثة في ثنايا القصيدة مقوماً لإنجازياً معبراً عن الثورة النوفمبرية المباركة، فأجاد انتقاء التأكيديات المشحونة من مثل: "كانت زلازل"، "كان الرصاص"، "باتت جزائرنّا"، "نامت فرنسا"، "يغشاهم الوقر"، "يرديهم الموت"، وقد وردت الأفعال الإنجازية مفعمة بطاقات تعبيرية حادة متفجرة، تحمل مضمونا ثوريا يهدف إلى بث جمرات التمرد وشحنهم وهو مسعى الشاعر وغايته؛ بتوظيفه للأفعال الكلامية القائمة على التوضيح والتفسير للمستعمر أنّ مطلب الشعب هو الاستقلال والظفر بالحرية المسلوبة عنوة.

و"اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم و الغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو التأكيد للمستعمر على لسان الشاعر أن الشعب الجزائري ماض إلى حريته" (9)، فهما بلغت الإجراءات التعسفية المتخذة في حقهم عنان الساء لن يزيدهم ذلك إلا إصرارا وتمردا، واستجابة لهذا الغرض التداولي نجد قصائد سعد الله تدعو دعوة صريحة إذكاء لنار الثورة؛ فكشفت البنية التأكيدية للأفعال الإخبارية عن واقع حي في صخب المعارك وسط أثونها وتحت وهج نيرانه، إذ تكمن إنجازيتها في إثبات الشعار التي قامت عليه الثورة.

يبين الشاعر في هذا المقام صمود الشعب الجزائري في وجه المستعمر الغاشم فيقول: (10)

نَكَلُ الْعَاصِبُونَ بِالشَّعْبِ
رَاعَهُمْ رَحْمَةُ الْمَهْجِبِ الْجَلِيلِ
لَيْتَهُمْ يَغْفُرُونَ لِلشَّعْبِ حَقْدًا
شِبْهَ الظُّلْمِ وَالْمَصِيرِ الْقَتِيلِ
هَدَفَ الشَّعْبِ أَنْ يَعِيشَ طَلِيقًا
وَعَلَى الْأَرْضِ حُبُهُ وَهَدْيُهُ
يَجْمِلُ الرِّصَاصَ لَهُ كَرَاهَا

وَيَحْدُوهُ بِالِدِمَاءِ الدَّلِيلِ
وَيُثِيرُ الْحَفَائِظَ اللَّاهِيَاتِ
عَيْشَةَ الصَّنَكِ الْمُقَامِ الدَّلِيلِ
إِنَّ لِلشَّعْبِ قُوَّةَ السَّيْلِ لَوْ دَمَدَمَ
يَعْنُو لِرَحْفِهِ الْمُسْتَحِيلِ

أخذت الأفعال الإخبارية نصيبها في هذا الشاهد، وقد وردت بصيغة المضارع "يَعْنُو" للشعب حَقًّا "يَحْمِلُ" الرصاص "وَيَحْدُوهُ بِالِدِمَاءِ" و"يُثِيرُ الْحَفَائِظَ" يَعْنُو لِرَحْفِهِ الْمُسْتَحِيلِ"، فالقارئ يدرك أنها ضمن التقرير كونه صادر عن متكلم شاعر أضنته الممارسات التعسفية في حق بني جلدته، فيوضح الشاعر الأفعال الكلامية، التي تثبت حقيقة أنّ حمل الرصاص كرها نتيجة لسياسة الغاصبين التي اعتمد في إقراها الشاعر الزمن المضارع للدلالة على استمرار المعاناة والتدهور، فصير ذلك العيشة ضنكى، إلا أنّ ذلك لم يمنع زحف الشعب سيلا، بأسلوب التوكيد قدم الناظم جملة جواب الشرط في قوله: "إِنَّ لِلشَّعْبِ قُوَّةَ السَّيْلِ"، وهي تتميز بالوظيفة الحجاجية الإقناعية، وذاك بتصدر النتيجة على الحجة "لَوْ دَمَدَمَ" وفي هذه الجملة لمقتضى التهديد والوعيد فبزحفه يتحقق المستحيل.

ب التوجيهيات:

تهدف الأفعال التوجيهية إلى جعل المتلقي يتصرف وفقا لتوجيه المتكلم له و"يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين الإغراء والاقتراح والنصح والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء" (11) كما تسعى التوجيهيات بصيغها المتنوعة من (استفهام وأمر ونداء) إلى حمل المتلقي على فعل المطلوب منه، وتبليغ مقاصد المتكلمين وتنوع بين توجيه المتلقي لإنجاز فعل ما، أو إقناعه بفعل ما، وقد تجلت هذه الصيغ في المدونة الشعرية التي بين أيدينا وفي مستهلها:

1/ الاستفهام:

يحمل التوجيه الاستفهامي طاقة إقناعية كبيرة كونه "يفترض السؤال ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أنّ اللجوء إلى الاستفهام على إبداء موافقته إذا ما جاء الاستفهام يقتضيه" (11) إذ يقول الناظم:

أَجِبْ بَرَبْرُوسُ
أَشْعَبَا تُحْطِمُ أَمْ ذُبَابُ ؟
أَقْلَبَا تُحْطِمُ أَمْ حَجَرُ ؟
وَمَاذَا أَأَنْتَ الْجَحِيمُ الَّذِي لَا يُطَاقُ ؟
أَبَاسْتِيلُ أَنْتَ مَلِيئًا بِالْحِثِّ ؟

صاغ أبو القاسم سع الله آياته في شكل سلسلة من التساؤلات، موجها خطابه لسجن بربروس؛ حيث أنتج أول تساؤل: "فعلا كلاميا غير مباشر بقوله: أشعبا تحطم أم ذباب ؟ فالاستفهام لم يؤت به للطلب أو الاستفسار عن هوية بربروس، وإثنا القصد والغاية لفت انتباه المتلقي لمعاناة السجناء؛ وبذلك يكتسي الاستفهام الإنكاري صبغة الإنجاز مفادها استنكار الشاعر لما يكابده الشعب الأعزل لشتى أنواع القهر والتكيد بل التحطيم، والتحطيم أعمق وأشد وطأ، وذلك بالنظر للتشبيه الذي استعان به أبو القاسم في مماثلة السجناء بالذباب، ولا يختلف اثنان حول ما تحمله اللفظة من دلالة التحقير فبعيون الفرنسيين ما المكافون إلا ذبابا وذلك ما نجده ممتظها في قوله: "أَقْلَبَا تُحْطِمُ أَمْ حَجَرُ ؟" وفي ذلك إشارة واضحة بينة توسلها الشاعر لتوجيه المتلقي نحو رفع صوت الحق بتوظيفه لأقوال استفهامية "قائمة على استعمال مؤشرات لفظية، تفصح عن القوى الإنجازية المقصودة من اللفظية نذكر "الهزمية أ، ماذا ومن النغمية نذكر التنعيم الصوتي المتصاعد الذي يصاحب هذه القصيدة من مطلعها إلى نهايتها، إذ تعطى وظيفة إيضاحية للمعنى" (12) ولما كان الشاعر واعيا بالوظيفة الإقناعية للأفعال التوجيهية ختم القصيدة بقوله: و"ماذا أَأَنْتَ الْجَحِيمُ الَّذِي لَا يُطَاقُ ؟ فكان استفهامه محملا بالحسرة والأسى ولاسيما حينما شد من عضده بالتشبيه البليغ "بربروس حجيم" فتضافرت هذه الأفعال الكلامية مجتمعة لتحقيق الهدف الإنجازي ومقصدية الشاعر الرامية للتغيير الدافعة للإنجاز.

2/ الأمر والنهي:

يعد الأمر والنهي من الصيغ الأسلوبية ذات القيمة الحجاجية ؛ التي يُعول عليها في الدراسات التداولية، فهاهنا عن طاقتهما الدلالية فإنهما يضمان انفعالات دينامية إنجازية؛ لأنها يهدفان إلى توجيه المتلقي لسلوك معين تحدده أطروحات الشاعر، وقد نستأنس في هذه المناسبة بقصيدة المتمرد التي تتمظهر فيها هذه الصيغ إذ يقول: (13)

ارْفَعْ رَأْسَكَ ارْفَعْ
الشَّمْسُ الطَّلَقَةُ شَمْسُكَ
فَلَا تَرْكَعْ
وَاصْنَعْ جَيْلَ الْغَدِ اصْنَعْ

يحفز الشاعر شعبه على النهوض من سباته؛ ليسترجع الزمن الأخضر، فاعتمد على أفعال كلامية مباشرة؛ بغية الوصول لغرضه المقصود من غير أن يفسح مجالا للتأويل أمام المتلقي من مثل قوله: (ارفع، اصنع، واصنع جيل الغد) ويمكن استشراف القوى الإنجازية الفعلية المتمثلة في رفع همّة الشعب مع ضرورة الصمود في وجه المستدمر، لتحقيق النصر وما الظفر بذلك إلا بعدم الخضوع أو الخنوع "فَلَا تَرْكَعْ" نهى الشاعر المتلقي بها عن الاستسلام للوضع، مستبشرا بغد أفضل صانع للأجيال. ولا جرم أن الأفعال الكلامية التوجيهية في ثنايا القصيدة ساهمت بقسط وافر في رفع نبرة الشاعر المتمرد وتحديه للقرارات الفرنسية، وبذلك تَمَظْهَرَت القوى الإنجازية في شحن الهمم واستنهاض الضمائر.

3. النداء

يُعد النداء من أساليب الطلب التي تسترعي حضور المخاطب، ومن النماذج الشعرية التي وُظِفَ فيها النداء مقترنة بأفعال كلامية غير مباشرة كقوله: (14)

يَا عَقَابَا لَمْ لَمْ تَقْبِضْ جَنَاحَكَ
يَا فَضَاءَ لَمْ لَمْ تَشْهَدْ سِلَاحَكَ
يَا سَمَاءَ لَمْ لَمْ أَمْسَكْتَ رِيَاخَكَ
يَا نَدِيمَا لَمْ لَمْ حَطَمْتَ قَدَاحَكَ

يوجه الشاعر خطابه أو بالأحرى نداءاته اللفيفية لرموز الطبيعة (عقابا ، سماء فضاء ، نديما) كي تساهم هي الأخرى في رد الحق لأصحابه، إذ تستمد هذه الصيغ فاعليتها في التأثير على المخاطبين ليستجيبوا لنداء الطبيعة؛ التي تسانداهم في محنتهم تدعوهم للمُرد والثورة استرداداً للكرامة الشعب المغتصبة؛ ولأنّ أبا القاسم يؤكد ويوجه في الآن عينه، فقد توخى استفهامات إنكارية لينفي المحتوى القضوي "فعل كلامي غير مباشر" فيظهر ذلك في قوله: "" يَا عَقَابَا لَمْ لَمْ تَقْبِضْ جَنَاحَكَ" فهو لا يبحث عن جواب شاف لسؤاله المتكرر بقدر ما يرنو إلى تحقيق الفعل التأثري، وذلك بتساوق الفعلين الانجازيين التوجيهيين: "النداء والاستفهام" مما ساهم في انسجام الخطاب الشعري وجعله حواراً بين الشاعر والمتلقي؛ فوَلَدَ ذلك تفاعلاً سرياً بينهما أجلب للإذعان والافتتاح.

ج- الالتزامات:

وهي أفعال كلامية تتطلب الإنجاز من لدن المتكلم كمثل قول الشاعر في قصيدة "عهد" والعتبة هنا تشكل قولاً إنجازياً إلزامياً فيقول أبو القاسم سعد الله: (14)

لَأَنَّ "أَرْضِي عَاهَدْتُ أَنْ لَا تَهْتُونِ
عَاهَدْتُ أَرْضِي وَأَرْضِي لَا تَخُونِ
عَاهَدْتُ أَنْ لَا تُثْلَاقِي الْغَاصِبِينَ
بِسُوءِ الرِّشَالِشِ وَالْمُؤْتِ الْمُهِينِ

يلتزم الشاعر بعهد صريح مفاده أن لا يخون وطنه بقوله: "لَأَنَّ "أَرْضِي عَاهَدْتُ أَنْ لَا تَهْتُونِ" فسابقة العهد هي الأرض أنطقها أبو القاسم على لسانه حتى يبرز مساندة تربة المضمخة بالدماء له، فما أنها عاهدته أن لا تهون فالتزم هو الآخر بمواصلة السير على نهج الكفاح للتحرر بقوله: "عَاهَدْتُ أَنْ لَا تُثْلَاقِي الْغَاصِبِينَ" بِسُوءِ الرِّشَالِشِ وَالْمُؤْتِ الْمُهِينِ، فالفعل الكلامي "عاهدت" المتكرر في مستهل كل بيت لحجة إقناعية منضوية على شخصات تأثيرية إحمائية، تؤكد التزام الشاعر بقضية وطنه وبعدم تخليه عن مبادئه فالنصر آت لا محال. نستدل بقوله: (15)

بِالْبُطُولَاتِ، بِرُوحِ الشُّهَدَاءِ

سَوْفَ لَا أُلْقِي السِّلَاحَ
سَوْفَ لَا تَبْرُحُ كَفِي بُنْدُوقِي
سَوْفَ لَا يَفْرَعُ جِيبي مِنْ رِصَاصٍ
سَوْفَ لَا يَهْدَأُ جَفْدِي

إنّ ترديد الناظم لعبارة "سوف لا" في مستهل الأبيات الشعرية لحجة برغماتية إنجازية، تكمن قوتها في التزام الشاعر بالتغيير والسعي له سعيًا دوؤيًا، فهما تباينت أساليب النضال سلاحًا وبندقية أو رصاصة، إلا أنّ الهدف المشترك واحد، فالفعل الكلاسي الإعلاني هاهنا يؤمّي بالغرض الحجاجي الذي يعكس ذلك الإلحاح والإصرار في الدفاع المستميت عن الوطن، وهو ذو حمولة إقناعية تشحن الهمم للسعي وراء الكفاح واسترجاع السيادة.

د- الإعلانات:

وتسمى كذلك الإقاعات، "وأدأوها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي واتجاه المطابقة فيها اتجاه مزدوج؛ أي من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات ولا نحتاج إلى شرط الإخلاص" (16) وتظهر صلة الغاية الحجاجية بهذا الصنف من الأفعال الكلامية بشكل صريح "فأهم ما يميز هذا النوع من الأصناف الكلامية أنها تحدث تغييرًا في الوضع القائم فضلًا على أنها تقتضي عرف غير لغويًا" (17) وقد توافرت الأفعال الكلامية الإعلانية في الزمن الأخضر، إذ توخى أبو القاسم سعد الله الإقاعات في مواقف استدعت مؤازرة المتلقي وتلبية فورية للأحداث الثورية، وذلك ما نجدناه ماثلاً في قصيدة "الصخرة" والعتبة هنا واضحة المعالم، حاملة لدلالة الصمود والإصرار، فقد نظمها لما أسقطت الجزائر أكثر من خمس حكومات فرنسية فنقرأ قوله: (18)

أَيُّ إِصْرَارٍ وَيَأْسٍ ؟
تَوَجَّحَ الْمُسْتَقْبَلُ الْحَرَّ وَعَنَى قَبْرَ أُمِّسٍ
وَأَزَاحَ الْغَيْمَ عَنْ أَفَاقِ شُعْبِي
زَعَزَعَ الْمَجْدَ الْفَرَنْسِيَّ
وَأَثَارَ الرُّغْبَ فِي السَّيْنِ وَمَنَاهُ بِتَجْهِيسٍ
أَيُّ دَرْبٍ ؟
أَسْقَطَ الْأَقْرَامَ عَنْ حُلْمٍ وَكُرْسِي
وَرَمَى الطُّغْيَانَ فِي ظِلْمَةِ رُمُوسٍ
وَفِي الْحَرْبِ رَحَى تَمْصُغُهُمْ مَصْغَةَ رُمُوسٍ
سَقَطُوا، وَ الْمَوْجَةُ الْحَمْرَاءُ تَلْقَاهُمْ يَهُوسٍ

يدرك القارئ لهذا المقطع غلبة الفعل الكلاسي الإيقاعي، وذلك بإقرار الشاعر لمقاصد متنوعة ترمي إلى الإعلان عن حرب ضروس كيف لا وقد أسقطت خمس حكومات فرنسية؟ وفي ذلك يتساءل الشاعر عن سبب إصرار الجزائريين؛ لتتالي بعدها إعلانات الشاعر من مثل (أزاح، أثار، رمى، أسقط زعزع، قررت) وجلها أفعال تنضح بالتغيير ثورة وتمرّدا على السياسة المستبدّة، فإصرار الشعب الواضح على نيل حريته أزاح الغيم، إذ انطوى أسلوب الشاعر المضمر على تمثيل المستدمر بالغية وإعلانه عن زوال سوادها من سماء الجزائر لتلميح عن غرض الفعل الكلاسي الإيقاعي؛ الذي أكد مفاده بزعة الوهم الفرنسي بقوله: "زعزع المجد الفرنسي" ليسقط أحلام الأقزام من على الكرسي الذي اعتلته بظلمها وتسلطها، ومنه يعلن أبو القاسم سعد الله عن رغبة المشتركة مع المتلقي في الإعلان سقوط الحكومة الفرنسية

أبو القاسم سعد الله شاعر ملتهب ينبع ديوانه بالثورة والتمرد إذ يقول عند إضراب التاريخي الذي قام به الشعب استجابة لنداء الثورة فنظم قوله: (19)

وَنِدَاءُ الْجُنُودِ الْوَطَنِيِّ
بِاسْمِ الْوَطَنِ الْحُرِّ
إِصْرَابٌ غَدَ ثَوْرَةٍ

يَا شَعْبَ عَدَا عِبْرَةَ
وَعَدَا نَطْرُقُ بَابَ الْحُرِّيَّةِ
وَنَدَاءُ الْجَيْشِ الْوَطَنِيِّ
صَرْخَةُ عَمَلَاقي هَائِلِ
فِي كُلِّ فِرَاشٍ مَحْنُوقِ
فِي كُلِّ طَرِيقٍ مَشْنُوقِ
نَقَشُ الشَّعْبِ النَّائِرِ
تَحْيَا الْحُرِّيَا
وَعَلَتْ شَمْسُ مُغْبَرَةٍ
وَتَحْدَى الشَّعْبُ النَّائِرِ

تتطوي الأفعال الكلامية الإيقاعية على حشد فكري يمس أعماق بقارئ، فيدعوه لرفع الهمم بالسلم والحرب
إعلان الشاعر صريح بعد الثورة إضراب، وغرضها الإنجاري يتمثل بتأكيد الشاعر على اسم الجيش الوطني أنّ باب
الحرية سيطرق بعد الإضراب الوطني، فتحققت الأفعال الإيقاعية على لسان الشاعر ضمن هذه الأقوال (نقش
الشعب، تحيا الحريا، علت شمس مغبرة، تحدى الشعب) ولعل السمة البارزة للأفعال هو مماثلة محتواها القضوي للعالم
الخارجي يتحقق الفعل بمجرد القول. ووصلا بما سلف نقرأ قوله: (20)

أَقُولُهَا لِفَرَنْسَا
جَلِيَّةٌ كَالصَّبَاحِ
إِنِّي كَيْنٌ جَدِيدٌ
لِجَيْشِكَ السَّفَاحِ
إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكَ عَلَى زَيْبِ الرِّيحِ
عَلَى نَذِيرِ الْفَنَاءِ
لَقَدْ عَرَفْتُ طَرِيقِي
وَلَنْ يَرِدَ جَمَاجِي
فَلَسْتُ لِلْسَيْنِ أُنْبِي
وَلَيْسَ لِلْأَلْبِ شَأْنِي
أَنَا كَيَانٌ عَرِيقٌ
مِنْ أَقْدَمِ الْأَزْمَانِ

أبرز سمة لهذه القصيدة، هي أنّ الشاعر يفصح بفعل كلامي مباشر عن قرار لا رجعة فيه، "أَقُولُهَا لِفَرَنْسَا"، وما
أدل على ذلك جنوحه للفعل غير المباشر المؤكد على قراره المتخذ "جَلِيَّةٌ كَالصَّبَاحِ" فبكل فجر، عزة وحاسة يبين عن
فعل إنجاري ظاهره الإخبار ومحتواه القضوي ما ذكر من صفات تؤكد سموه "إِنِّي كَيْنٌ جَدِيدٌ"، إذ يعلن أسره الذي
زعزع جيش المستدمر، كالريح الصرصر المنذر بفناء الطغيان. عرف الشاعر الطريق "لَقَدْ عَرَفْتُ طَرِيقِي" معرفة
حقيقية، فإما نصرا أو نصرا، وينفي انتماءه للسَيْن كناية عن المستدمر بقوله: "أَنَا كَيَانٌ عَرِيقٌ"، وهو فعل كلامي يحمل
في طياته دلالة الفخر بالعرق والنسب العتيد. ورفضاً لسياسية الاستدمار، تحدى الشعب الجزائري طغيان

5. خاتمة:

نخلص مما تقدم ذكره، أنّ حجابة الأفعال الكلامية المباشرة تكمن في توجيه الشاعر المتلقي الوجهة التي يرتضيها
الخطاب بمراعاة ظروفه واستعداداته ليسهل اقتناعه، فيكون الفعل الحجاجي قد حقق ما يصبو إليه، وقد توافرت
الأفعال الكلامية على طاقات إقناعية متباينة تباين مقاصد الشاعر الصريحة؛ حيث كشفت الجانب الإبداعي للشاعر
الثوري "أي القاسم سعد الله"، والتي تأتي على ذكرها في النقاط التالية:
- كشفت الورقة البحثية عن قدرة المنهج التداولي في سبر أغوار الخطاب الشعري .

- ساهمت الأفعال الكلامية التأكيدية في تقرير الفكرة المتنبئة من لدن الشاعر؛ لاستدراج المتلقي نحو الإنجاز والفعل .
- لا مراء أن الأفعال التوجيهية من استفهام، أمر ونداء لها حظوة مائزة في الخطاب الشعري لغرضها البرغماتي المتمثل في رفع الهمم واستنهاض الضمائر
- لم يتكلف أبو القاسم سعد الله في خطابه الشعري، وإنما سعى سعياً حثيثاً إلى دفع المتلقي نحو الإنجاز.

6. الهوامش:

- 1- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005، ص 40.
- 2- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص 65.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، 1990، ص 288.
- 4- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط2008، 01، الكويت، ص 456.
- 5- محمود أحمد نخلة، نحو أفاق جديدة للدرس اللغوي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 2002، ص 103.
- 6- آن بول وجاهك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين ذغنوس، دار الطليعة بيروت ط1، 2003، ص 66.
- 7- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، دار الكتب العلمية، الجزائر، ط3، 2011، ص 220.
- 8- المصدر نفسه، ص 177.
- 9- عبد الحليم بن عيسى، وسامية بن يامنة، المنهج التداولي في تحليل الخطاب الشعري، دار الكنوز للإنتاج والتوزيع، ط2008، 01، ص 104.
- 10- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 34.
- 11- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، ص 123.
- 12- عبد الله صوله، في نظريات الحجاج دراسات تطبيقية، مسكيلاني للنشر، المغرب، ط1، 2011، ص 38.
- 13- أبو القاسم سعد الله، الزمن الآخر، ص 253.
- 14- المصدر نفسه، ص 273.
- 15- المصدر نفسه، ص 283.
- 16- محمود أحمد نخلة، نحو أفاق جديدة للدرس اللغوي، ص 80.
- 17- المرجع نفسه، ص 80.
- 18- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 297.
- 19- المصدر نفسه، ص 295.
- 20- المصدر نفسه، ص 265.

8. المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، 1990.
- 2- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، دار الكتب العلمية، الجزائر، ط3، 2011.
- 3- آن بول وجاهك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين ذغنوس، دار الطليعة بيروت ط1، 2003.
- 4- عبد الحليم بن عيسى، وسامية بن يامنة، المنهج التداولي في تحليل الخطاب الشعري، دار الكنوز للإنتاج والتوزيع، ط1، 2008.
- 5- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2007.
- 6- عبد الله صوله، الحجاج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجاج للخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، إشراف حادي صمودي، كلية الآداب والفنون، مكنة، تونس د.ت.
- 7- عبد الله صوله، في نظريات الحجاج دراسات تطبيقية، مسكيلاني للنشر، المغرب، ط1، 2011.
- 8- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط2008، 01.
- 9- محمود أحمد نخلة، نحو أفاق جديدة للدرس اللغوي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 2002.
- 10- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005.